مقابلات وأحاديث مع عصام العطار

أجرت عدد من الصحف ووكالات الأنباء الأجنبية والعربية مقابلات مع الأستاذ عصام العطار .. ونكتفي من ذلك هنا بنشر مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربيّ ؛ ونشرتها في عددها رقم ٢١٥ الصادر في ٢٧ آذار/مارس ١٩٨١م

مقابلة مجلة (الوطن العربيّ) مع الأخ عصام العطار

- هل كانت الفقيدة تعرف أنها في خطر ؟

▪ نعم فمحاولات الاغتيال السابقة لم تكن تفرق بيني وبين من يكون معي من أفراد أسرتي ، والأخبار التي كانت تردنا من مختلف المصادر كانت تؤكد أننا –على درجات متفاوتة– في أشدّ خطر ، وأننا كلنا هدف للقتل بمختلف الصور والسبل

- هل كانت الفقيدة تشعر بالخوف وتتمنى لو أنكم تركتم حياة الكفاح والنضال التي عشتموها سنوات بعد سنوات إلى حياة أقرب للأمن والراحة والهدوء ؟

▪ لقد كانت –رحمها الله تعالى– تخاف عليّ وعلى ولديها هادية وأيمن ، أما على نفسها فلا .. ولقد كانت على استعداد تام لافتداء دينها وأمتها وبلادها وزوجها وأسرتها دائماً بالحياة

ولقد عشنا معاً اثنين وعشرين عاماً فما سمعت منها مرة واحدة – في حضر أو سفر وفي صحة أو مرض وفي يسر أو عسر – تدعوني بها إلى ترك الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، وإلى إيثار الأمن والراحة والهدوء على مرضاة الله ومصلحة الأمة والبلاد ، بل لقد كانت تحفزني دائماً على الثبات والإقدام ، وتقف معي بلا أدنى تردد في أشد الأيام وأحلك الظروف

وإنني لأتذكرها الآن وهي تقول لي عقب محاولة من محاولاتِ اغتيالٍ تبيّن منها ومن معلومات سبقتها أنها وولديها مستهدفون معي للموت على أيدي القتلة المجرمين .. إنني لأتذكرها وكأنني أراها وأسمعها الآن وهي تقول لي وقـــد أخذت بيدي :

– (عاهدني يا عصام إذا قتلني وقتل أبناءك الطغاة المجرمون ألا يُوهن عزمَك الحزن ، وأن تتابع جهـــادك كمـــا كنت تجاهد من قبل بغاية القوة الإصرار والاستمرار .. وأنا أعاهدك أيضاً يا عصام –إذا كتب الله لك الشهادة– أن نتابع الطريق الذي سلكناه معك : طريق الإسلام العظيم .. إلى نظفر بإحدى الحسنيين : الشهادة أو النصر ، ونلقـــى الله عزَّ وجلَّ وهو عنا راض)

ولقد ظفرت بنان تغمدها الله بالرحمة والرضوان بالشهادة .. وبقي عليّ أن أتابع الطريق وحدي وقد فقدت رفيقة الحياة والجهاد

– من تتهم بارتكاب هذه الجريمة النكراء ؟

▪ لست أنا الذي أتهم ، ولكن التحقيق هو الذي كشف ، والمدعي العام هو الذي أعلـــن أن عناصـــر القتـــل والإجرام جاءت من سورية ، وأنها تنتمي إلى منظمة من منظمات الحكم الدكتاتوري الطائفي هناك ؛ فـــالحكم الدكتاتوري الطائفي الدموي المجرم في سورية هو المسؤول

– ما هو العقاب الذي تطلبه للقتلة المجرمين إذا ألقي عليهم القبض ؟

▪ أنا لا ألتفت كثيراً إلى المجرمين الصغار ؛ فالمجرمون الكبار هم الذين يجب أن يدفعوا أولاً الثمن

– والمجرمون الصغار ؟

▪ يجري عليهم كما يجري على المجرمين الكبار حكم الله عزَّ وجلَّ ، فأنا لا أطلب لهم ولا أقبل فيهم إلاّ حكم الله العادل الذي يحمي بالقصاص العادل ألوف النفوس البريئة الأخرى المعرضة للقتل الوحشي في ســـورية وفي كـــل مكان من الأرض ، ولولا ذلك لتنازلت عن كل حق شخصيّ ، ولعفوت وصفحت ، فدم الفقيـــدة الغـــالي لا يعوضه شيء ، والعفو والصفح هو أقرب إلى خلقها العظيم ، وقلبها الكبير ، الذي لم يعرف قطّ الكراهية والحقد لإنسان مهما أساء ، ولم يكن منه على اختلاف الظروف إلاّ العفو والصفح ، وإلاّ المحبة الخالصة وإرادة الخير لكل الناس

– هل تعتقد أنه سيتم إلقاء القبض على القتلة المجرمين ؟

▪ لا أدري .. فهناك ضغوط سياسية كبيرة من الحكم الدكتاتوري الطائفي في سورية ، ومن يقف معه ويـــؤازره من الأنظمة التي لا تقيم وزناً للحق والعدل والإنسان ، ولا تتقي الله عزَّ وجلَّ في دماء الأبرياء .. ولكـــنني لـــن أسكت على أي تهاون أو تسهيل لفرار المجرمين ، أو لفلفةٍ للموضوع وإخفاءٍ للدافع الأصـــلي الواضـــح كـــل الوضوح ، المكشوف لسائر العيون ..

- وإذا تمكنوا -على الرغم من ذلك- من الفرار ؟

▪ سأعتبر كل منظمة أو جهة تؤويهم أو تحميهم شريكة لهم في مسؤوليتهم وجريمتهم التي انطوت على درجة من الوحشية والنذالة تقشعر لها أجساد الوحوش في الغاب ، وتخرجهم من دائرة العروبة والإسلام ودائرة البـــشر .. سيدةٌ بريئة ، أم وزوجة ، داخل مسكنها في لباس البيت ، لا تحمل سلاحاً ، ولا تملك أي وسيلة مـــن وســـائل الدفاع عن النفس .. يقتلونها دونما ذنب أو اضطرار .. يقتلونها لا برصاصة ولا برصاصتين ولا ثلاث ، ولكـــن بخمس رصاصات .. اثنتان في الرأس ، وواحدة في العنق ، وواحدة في الكتف ، وواحدة تحت الإبط ، ويدوسون جثتها التي ينـــزف منها الدم ، مفتشين في غرف الشقة عن بقية أفراد الأسرة وبأيديهم القنابل والمـــسدسات .. ولقد كان يمكن أن يقضوا على الأسرة كلها لولا وقاية الله ، ولولا أن أفراد الأسرة الآخرين لم يكونوا في ذلـــك الوقت في البيت ، وإلا لقتلوهم أجمعين واستراح حافظ الأسد من مسؤولية اقتحام الجولان ما دام قد اقتحم بيت عصام العطار ، وقتل امرأة من أبرأ وأشرف الزوجات والأمهات العربيّات المسلمات ، والمجاهدات المخلـــصات الصادقات في سبيل الله عزَّ وجلّ

- ألم تكن هنالك حراسة للبيت عندما تمّ اقتحامه واغتيال الشهيدة الغالية ؟ وأين ذهبت الحراسة المشددة الـــتي كانت من قبل ؟

▪ عندما مُنعت منعاً قاطعاً قبيل عيد الميلاد الماضي من ممارسة أي نشاط سياسي رُفعت عن منـــزلي الحراســـة في الوقت نفسه ، وتُرِكتُ وأسرتي وحدنا في مواجهة الموت ، وليس في بيتنا ولا بأيدينا أي وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس

إنّ الخط العربيّ والإسلاميّ المستقلّ المتميّز الذي نسير عليه لا يروق -على ما يبدو- الغرب والشرق ولا أتبـــاع الغرب والشرق .. ومن هنا ظروفنا الصعبة التي عانيناها -وما نزال نعانيها- في كل وقت وكل مكان

- يتساءل بعض الصحفيين الأجانب هل ستتابع كفاحك بعد هذه الجريمة المروعة والضربة الفادحة التي نزلـــت بك وبأسرتك ؟

▪ أعترف لك بأن هذه الضربة قد نفذت إلى أعمق أعماق قلبي ، وقد هدمت بالفعل عماد أسرتي وبـــيتي ، وأنّ ألمي وحزني على (أم أيمن) ليس له حدود ؛ فقد كانت رحمها الله الزوجة والصديقة والرفيقة والشريكة الدائمة في كل مجال من مجالات حياتنا الخاصة والعامة .. وأحب أن أسجل هنا للحقيقة والتاريخ ، وأمام الله عزَّ وجلَّ ثم أمام العرب والمسلمين ، أنه قد كان لـــ بنان الطنطاوي (أم أيمن) النصيب الأوفر في كل إنجاز حققته منذ تزوجنـــا ، وفي كـــل موقف وقفته في سبيل الله عزَّ وجلَّ ، وفي خدمة الإسلام العظيم ، وخدمة العرب والمسلمين

أما في شأن متابعة الكفاح .. فاسمع مني الجواب الذي أجبت به بعض الصحفيين الألمان على مثل هذا السؤال :

(لو قتلوا أفراد أسرتي فرداً فرداً تحت عيني ، ولو قتلوني ألف مرة ثم عدت إلى الحياة ، لتابعت الجهاد في سبيل الله)

لقد وهبنا حياتنا جميعاً لله عزَّ وجلّ ، وقد سبقتنا شهيدتنا الحبيبة بنان إلى جنة الخلد .. وسيجتمع شملنا -عنـــدما يشاء الله- هنالك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا .. وما أسعدنا ومـــا أشـــوقنا إلى الشهادة في سبيل الله إن كانت الشهادة طريقنا إلى القيام بالواجب ، وإلى تحقيق النصر ، وإلى لقاء من ســـبقنا مـــن الأحباب

وقل لقرائك يا أخي حيثما كانوا من الأرض .. قل لهم عني وعن أسرتي ؛ إنّ إيماننا والحمد لله أقوى مـــن الآلام والنكبات والضربات ، وإن حقنا وقضيتنا العادلة أقوى من الرصاص والموت ، وإننا لا نخاف القتلة المجرمين الحاكمين في دمشق ، وإننا نتحداهم من أكبر رفيق إلى أصغر نصير .. وها هو ذا صدري مفتوح لرصاصهم في كل وقـــت وفي كل مكان .. فليطلقوا على صدري -أو على رأسي كما فعلوا بزوجتي- الرصاص ؛ فإن رصاصهم يرفعني إلى جنـــة الخلد ويهوي بهم في دركات الجحيم ، ويصرع حكمهم الدكتاتوري الدموي الإجرامي الفاسد .. وحسبي من هـــذه الحياة أن ألقى الله عزَّ وجلَّ بعدها وهو عني راض

- هل سيتغير منهجك في العمل بتأثير هذه الفاجعة الكبرى ؟

▪ كلا ، إنّ منهجي في العمل لن يتغير بتأثير هذه الفاجعة ، فأنا لا أنطلق أبداً من العواطف والمشاعر والتـــأثرات الخاصة ، ولا من الظروف والاعتبارات الشخصية مهما كانت هذه الظروف والاعتبارات .. ولكنني أنطلـــق علـــى الدوام انطلاقاً موضوعياً مجرّداً بمقياس الإسلام العظيم ، ومصلحة العرب والمسلمين ، ومصلحة البشر كل البـــشر في كل مكان من الأرض .. وأنا وأسرتي بعد ذلك فداء لما استبان ويستبين من الحق والمـــصلحة الـــشرعية المعتـــبرة ، ولطريقنا العتيد ؛ طريق الإسلام المستقل المتميز المستقيم

- هل تحب أن تقول كلمة أخرى في ختام هذا الحديث ؟

▪ نعم ؛ إنني لا أفكّر الآن - ولم أفكّر في الماضي- بزوجتي وحدها ، ولا بأسرتي وحدها .. فكل شهيدة علـــى ثرى سورية أو في بلد إسلامي هي عندي بنان ، وكل يتيمة أو يتيم هما عندي هادية وأيمن ..

لقد سقط على أرض سورية ألوف الشهداء من الرجال الأبرار والنساء الأطهار والأطفال الأبرياء .. ولقد كـــان هؤلاء عندي أعزّ عليّ من نفسي ، وبمنـــزلة أهلي وأسرتي

وفي سورية الآن ، أكثر من عشرة آلاف سجين وسجينة ومعتقل ومعتقلة لا يكاد العالم يعرف عنهم أي شيء .. سجناء ومعتقلون أبرياء يصفّي أكثرَهم زبانيةُ الحكم الدكتاتوري الطائفي فوجاً بعد فوج في مذابح كمذبحة تدمر .. مذابح رهيبة لا تراها عين إنسان

إنّني أناشد ضمير العالم كلّه عبر وسائل الإعلام الحرة الشريفة كلها ، وأناشد لجان العفو الدولية وحقوق الإنسان وسائر المؤسسات الدولية المختصة وكل إنسان حرّ على وجه الأرض .. أن يبادروا إلى إنقاذ هؤلاء الألـــوف مـــن الأبرياء قبل فوات الأوان

أما الحكم الدكتاتوري الطائفي القائم الآن فثقوا كل الثقة -أيها العرب والمسلمون- بأنه لـــن يـــدوم ، وبأننـــا سنسقط هذا الحكم المجرم ، وسنسترد حرية الشعب للشعب ، وحقوق الشعب للشعب ، ونقيم الحيـــاة الإســـلاميّة والحكم الإسلامي عبر قناعة الشعب وإرادته واختياره الحرّ إن شاء الله .. ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾